مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الأخلاق عند اسبينوزا

هند يوسف فراج يوسف

مسجلة بالدراسات العليا في قسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2023.241115.1771

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٢) العدد (٦١) أكتوبر ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الأخلاق عند اسبينوزا

الملخص:

يدور هذا البحث حول الأخلاق عند اسبينوزا وأهميتها في تحقيق السلام والتوافق بين الناس وسوف أتناول رأيه حول الخير والشر والسعادة، فقد اعتقد ان الخير والشر يجب أن ينظرا ليه من منظور أخلاقي لا من حيث الاحكام المشوهة للدين التي تتعارض مع ما هو أخلاقي من أجل تحقيق غايات سياسية أو تحقيق مصاح شخصية فالشر هو كل فعل يتسبب في إلحاق الضرر بالآخرين وعكسه الخير وهو كل فعل يدخل الفرح والسرور على الآخرين وهذا ما حث عليه اسبينوزا. فيجب على الإنسان ان يسعى لكل ما فيه خير ويحقق السعادة له وللآخرين ويبتعد عن كل فعل شرير. كما رأى سبينوزا أن انفعالات الحزن والفرح التي يتأثر بها الإنسان ترتبط ارتباطا وثيقًا بالعالم الخارجي الذى نعيش فيه فكلما كان العالم الذى يعيش فيه الإنسان عالم يتوفر فيه ما يحتاجه الإنسان من ضروريات الحياة كلما كانت الحياة أسهل على الإنسان وبالتالي سيزيد رضاه عن العالم المحيط به وعن أفراد مجتمعة. فالفرح عند سبينوزا هو ما تنتقل به النفس إلى كمال أعلى والحزن هو ما تنتقل به النفس إلى كمال أقل.

الكلمات المفتاحية: الاخلاق، الخير، الشر.

١-الأخلاق عند اسبينوزا *:

تعرف الأخلاق الأسبينوزية بأنها أخلاق السعادة، وفلسفته بأنها فلسفة الفرح، باعتبار أن الطرح الأخلاقي لقضية الفرح والسعادة في كتاب علم الأخلاق لا يخرج عن نطاق التساؤل الآتي: " كيف اضمن لنفسي أكبر عدد من انفعالات الفرح وأقل عدد من انفعالات الحزن؟"[١]

ترتبط انفعالات الفرح والحزن بدرجة تأثرنا بالعالم وتأثيرنا فيه. ولكن أوجه انفعالنا تفوق في معظم الأحيان أوجه الفعل عندنا، كما أننا ننسب إلى إرادتنا ما ينتسب في الواقع إلى سلسلة لا محدودة من العلل الضرورية، وهي سلسلة مرتبطة بعدد لا محدود من السلاسل اللامحدودة الأخرى التي تؤلف معا الوجه الكلي للكون وهو الله أو الطبيعة.[٢]

***باروخ سبينوزا" (١٦٣٢-١٦٧٧) ولد بأمستردام من أسرة يهودية فأراده والده على أن يصير حاخامًا، فتلقى اللغة العبرية والتوراة والتلمود، والفلسفة اليهودية للعصر الوسيط وصناعة صقل زجاج النظارات لما كان مقربًا من أن يتعلم الحاخام صناعة يدوية، داخله الشك في الدين فعدل عن مشروعه وتحول إلى العلوم الإنسانية (يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص١٠٢)**

كانت أسرة " أسبينوزا" من الأسرة الإسبانية اليهودية المهاجرة من فئة تسمى "المارانوده Marranoda" ، وهم يهود إسبانيا الذين اضطروا تحت ضغط الحكام ، إلى إخفاء دينهم الحقيقي واعتناق الكاثوليكية مؤقتًا ثم عادوا إلى كشف حقيقتهم عندما سنحت لهم فرصة الهجرة ، وكان ابو اسبينوزا " ميخائيل" تاجرًا ميسور الحال لديه شركة تجارية ، لا بأس بها ، كما كانت له مكانة مرموقة في الجالية اليهودية المشهورة بأمستردام، وقد تلقى اسبينوزا تعليمه في المدرسة التلمودية المحلية بأمستردام إذ ألحقه بها أهله لكي تتوثق ارتباطاته بطائفته اليهودية بتعلم لغتها العبرية وتراثها ، ومما لا شك فيه أن هذا العمل لم يُحقق إلا نتيجة عكسية ، إذ أن الطابع اللاهوتي المحافظ لتعليمه في هذه المدرسة قد دفعه إلى الثورة عليه ، وقد اضطر أهله إلى البحث عن معلمين أخرين له ، لكي يدرس لغات العلم الحديث وكان أشهرهم " فان دن إندهVan Den Ende " الذي كان معلمًا وطبيبًا في أمستردام ، وقد كان من النفوس الثائرة على التقاليد ، وأن اسسبينوزا تأثر بثورته منذ صباه. (فؤاد زكريا: اسبينوزا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧، ص٢٠،١٩)

١) باروخ سبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة/ جلال الدين سعيد، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٧

٢) المصدر نفسه، ص ١٧-١٨

كما وضح اسبينوزا أن الانفعالات النفسية للنفس البشرية هي ما تحدد إن كانت تلك الانفعالات ستجعل الإنسان سعيدًا او شقيًا، حيث ذكر اسبينوزا فيما يخص هذا الجانب "أعني بالفرح الانفعال الذي تنتقل به النفس إلى كمال أعظم، والحزن هو الانفعال الذي تنتقل به النفس إلى كمال أقل" كما أطلق على انفعال الفرح، عندما يتعلق بالنفس والجسم معا لفظ الدغدغة أو البهجة، وعلى انفعال الحزن لفظ الألم أو الكآبة. (١)

ومفهوم الأخلاق عند سبينوزا يتمثل في متطلبات الإنسان التي تتوافق مع الطبيعة الإنسانية من مآكل ومشرب ومأوى التي تحفظ استمرارية واستقرار النوع البشرى تحت إشراف العقل، كما أن الفضيلة تتجسد في محافظة الإنسان على وجوده، فأساس الفضيلة هي الانانية المعتدلة التي تعين الإنسان على وجوده فلا خير في أن ننهي معالم حياتنا من أجل الغير. (٢)

---

١) المصدر نفسه، ص١٥٩

٢) أمينة رغيس– فتيحة، بن كران: مكانة الاخلاق في فلسفة اسبينوزا (رسالة ماجيستير)، اشراف، طاهر رياض، جامعة قاصدي مورباح بورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، الجزائر،١٦/٥/٢٠١٧، ص٣٠،٣١

*** الخير لغة:**

الخير: ضد الشر، وجمعه خيور، تقول منه: خرت يا رجل، فأنت خائر، وخار الله لك، وهو خير منك وأخير. وقوله عز وجل: "تجدوه عند الله هو خيرا"، أي تجدوه خيرا لكم من متاع الدنيا. وفلانة الخيرة من المرأتين وهي الخَيْرَةُ والخِيَرَةُ والْخُورَى والْخِيرَى، وخاره على صاحبه خيرا وخيرة وخيرةُ: فضله؛ قال تعالى "أولئك لهم الخيرات"، جمع خيرةٍ، وهي الفاضلة من كل شيء. وقال الله تعالى: "فيهنّ خيراتٌ حِسانٌ". (ابن منظور: لسان العرب "مادة خير "، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص١٢٩٨)

الخير اصطلاحا:

إن الخير بالمعنى العام وهو الأكثر عمومية والذي يمثل القيمة العليا فى تنظيم سائر القيم ينقلنا إلى مفهوم الخير الاقصىsummon Bonum. فالناس عادة والشرائع والأديان يهتمون ليس فقط بالخير ولكن بالخير الاقصى. يقول سبينوزا فى "رسالة فى اللاهوت والسياسة: إن سعادة الفرد ونعيمه الحقيقي لا يكونان إلا فى تمتعه بالخير لا فى فخره بأنه وحده الذي يتمتع به مع استبعاد الآخرين. (معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية "مادة خير"، المجلد الاول، معهد الأنماء العربي، ط١، ١٩٨٦، ص٤٢٠)

أولا: الخير* والشر عند اسبينوزا:

أ-الخير

يرى (اسبينوزا) أن الخير العام يمثل القوانين الألهية ويقول : "القوانين التي يضعها البشر والتي تعد قوانين إنسانية تهتم هذه القوانين بالحفاظ علي حياة الإنسان سليمة والمحافظة علي سلامة الدولة، أما القوانين الإلهية فهو لا يهتم إلا بوجود الخير العام أو الخير الأسمى، والخير الأقصى يتمثل في حب الله ومعرفته بحق، لأن حب الله هو أفضل الغايات الإنسانية التي يجب أن يسعى إليها الإنسان إذا كان يسعى نحو السعادة الأبدية وهذا يتضح لنا فى أمر الله

وهذا يتفق مع قول القديس بولس: من يفعل الشر لا عذر له، ذلك لأن كلا يحصد ما زرع، والشر يولد الشر ضرورة إن لم يتم تقويمه، والخير يولد الخير إن صاحب ثبات النفس. (١)

كما يرى سبينوزا أن أكثر الأحداث فى حياة الناس التى يظنون أنها الخير الأعظم تنحصر فى ثلاثة: الثراء والمجد واللذة الحسية والتي تشغل الذهن عن التفكير فى أي شيء آخر؛ فالنفس تتعلق باللذة كما لو كانت قد وجدت الخير الذى ترتاح إليه، ومن جهة أخرى يتلو المتعة حزن شديد يربك الفكر ويضعفه ويثبطه؛ أما السعي إلى الثراء والمجد، فهو يشغل الفكر أكثر من اللذة؛لا سيما الثراء، إذا كنا نبحث عنه لذاته، لأن سيظهر آنذاك بمظهر الخير الأعظم أما المجد فأنه يشغل الفكر ويصرفه عن كل شيء آخر، لأننا ننظر إليه على أنه الخير بذاته. (٢)

---

١) المصدر نفسه، ص ١٩٦

٢) سبينوزا: رسالة فى اصلاح العقل، ترجمة/جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس،١٩٩٠ ص٢٧-٢٨

كما أن الثراء والمجد لا يعقبهما الندم، مثلما الحال بالنسبة إلى اللذة، فكلما زاد فوزنا بأحدهما، زاد شعورنا بالفرح، وزاد بالتالي دأبنا على مضاعفتهما ولكن لو شاءت الظروف أن تخيب آمالنا، لانتابنا حزن شديد، وأخيرا فأن المجد يقف هو الآخر حائلًا كبيرًا، لأن الفوز به يقتضي من المرء أن يتبع رغبة الناس فيما يقوم به وأن يسعى لما يسعون له.(١)

كما يرى سبينوزا أن سعادة الفرد ونعيمه الحقيقي لا يكونان إلا فى تمتعه بالخير لا في فخره بأنه وحده الذي يتمتع به مع استبعاد الآخرين. ومن يظن أنه حصل على سعادة أكبر لأنه وحده من يحمل صفات طيبة فى حين أن الآخرين ليسوا مثله. أو لكونه أكثر حظا فأنه يجهل المعنى الحقيقي للسعادة. (٢)

والخير الاسمي يسعي إلى ترتيب العلاقات بين المواضيع حيث أنه إذا كان في شيء معين خير فيعني أن هذا الشيء يسعى إلى خير أكبر منه، ويمكن أن نعد الخير الاسمي هو ترتيب تصاعدي للقيم الخيرية فكل قيمة من الخير تؤدي بنا الي قيمة أكبر من الخير. (٣)

---

١) المصدر نفسه، ص٢٨

٢) معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية" المجلد الأول"، معهد الأنماء العربي، ط١، ١٩٨٦، ص٤٢٠

٣) المرجع نفسه، ص ٤٢٠

***الشر لغة:**

الاصل في كلمة (شر) هو (شرر) وتعني الشر او السوء، وما يفعله الشخص الشرير، والفعل شر يشر، وقوم اشرار ضد الاخيار، وقال ابن سيده: الشر ضد الخير والجمع شرور. وفي حديث الدعاء: والخير كله بيديك والشر ليس إليك؛أى أن الشر لا يعتبر وسيلة للتقرب إلى الله وإنما نتقرب إليه بالقول الطيب والعمل الصالح وهذا الكلام إرشاد إلى استعمال الادب مع الله ،وان تضاف إليه محاسن الأشياء دون مساوئها.(ابن منظور: معجم لسان العرب "مادة شرر "،دار المعارف،القاهرة،د.ت،ص٢٢٣١)

قال الجوهري: ولا يقال اشر الناس إلا فى لغة رديئة ومنه قول امرأة من العرب: أعيذك بالله من نفس حرى وعين شُرَى، أى خبيثة من الشر.(ابن منظور: معجم لسان العرب "مادة شرر "،دار ،مرجع سابق،ص٢٢٣٢)

ب- الشر*

لقد كان فكر سبينوزا كرد فعل على طريقة التفكير التى كانت سائدة فى العصور الوسطى حيث تسود الرؤية الدينية التى تنطلق من الله وتعود إليه، و جعلت الله هو محور العملية الأخلاقية ،كونه الخير المطلق أما الشر فهو نابعا من خطيئة الإنسان الأول ، حيث عوقب الإنسان بفعل هذه الخطيئة، وجعلوا خلاصه يكمن فى ابتعاده عن ذاته الإنسانية وبالتالي جاء فكر سبينوزا ليعيد قيمة الإنسان التى غيبت معالمها ، حيث قدم نظرة أفقية تنطلق من الإنسان و تعود إليه ، وبذلك يكون سبينوزا قد حطم القواعد الأخلاقية التى ظلت ثابتة لقرون طويلة تحت وطأة العرف الاجتماعي والأوامر الكنسية، وأصبح الإنسان عنصرًا مركزيًا فى مشروعه الأخلاقي. [1]

وقال الاخفش:واحدها شرير وهو الرجل ذو الشر،مثل يتيم وأيتام.ورجل شرير مثال فِسِّيق،أى كثير الشر.(ابن منظور: معجم لسان العرب "مادة شرر "،دار ،مرجع سابق،ص٢٢٣٢)

والشر هو السوء والفساد. يقال: رجل شرٍ، أي ذو شر، وهو شر الناس، أي أسواؤهم واكثرهم فساداً. (جميل صليبا: المعجم الفلسفى"مادة الشر"، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨٢، ص ٦٩٥)

الشر اصطلاحا:

الشر ضد الخير، لأن الخير يطلق على الوجود أو على حصول كل شيء على كماله على حين أن الشر يطلق على العدم أو على نقصان كل شيء عن كماله. (جميل صليبا: المعجم الفلسفي "مادة الشر"، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨٢، ص ٦٩٥)

كما ان للشر ثلاثة انواع وهي:

- ✓ **الشر الطبيعي: ويطلق على كل نقص مثل الضعف والتشويه فى الخلقة، والمرض، والآلام، وما يشبهها.**
- ✓ **الشر الأخلاقي: ويطلق على الأفعال المذمومة، وعلى مبادئها من الأخلاق وعلى كل ما يحق للإرادة الصالحة أن تقاومه. فالشر الأخلاقي إذن هو الرذيلة والخطيئة**
- ✓ **. الشر الفلسفي (الميتافيزيقي): ويطلق على نقصان كل شيء عن كماله أو على الحابس للكمال عن مستحقه. (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨٢، ص ٦٩٥-٦٩٦)**

[1]) أمينة رغيس، فتيحة بن كران: مكانة الاخلاق في فلسفة اسبينوزا (رسالة ماجيستير)، مرجع سابق، ص٣٧

وهذا ما أكده سبينوزا في كتابه علم الاخلاق فقال "عمن تقوده الخشية ويفعل الخير تحاشياً للشر لا يكون سلوكه على مقتضى العقل". [١]

فالناس الذين يحسنون استهجان الرذائل أكثر من تلقين الفضائل، ويعملون على تخويف الناس لا على إرشادهم لما هو صحيح طبقا لما يتفق مع العقل، لا يفلحون إلا فى جعلهم ينفرون من الشر، لا فى حثهم على اتباع الفضيلة، كما أنهم يقومون بإبلاء غيرهم بمثل شقائهم، وتكون النتيجة أن يمقتهم الجميع وألا يحتملهم أحد. [٢]

كما أنه يرى "إن الرغبة المتولدة من العقل تجعلنا نسعى إلى الخير بصورة مباشرة ونتجنب الشر بصورة غير مباشرة ". ويبرهن عن ذلك بقوله أنه لا يمكن للرغبة المتولدة من العقل أن تنجم إلا عن الشعور بالفرح الذى لا يكون انفعالًا سلبياً، أي عن الفرح الذى لا يمكنه أن يكون مفرطاً، لا عن الحزن، وعلى ذلك فإن هذه الرغبة تنجم عن معرفة الخير، لا عن معرفة الشر، وبالتالي فأننا نرغب، بهدي من العقل، فى الخير مباشرة، وفى هذه الحالة فحسب ننفر من الشر. [٣]

وتتفق الباحثة مع اسبينوزا في "أن كل رغبة خيرة تنتج من العقل أما الرغبات الشريرة تنتج من الفؤاد الذي هو عبارة عن وعاء يتلقى ما يلجُ فيه من خلال الحواس وهو منبع العواطف والشعور من خوف وحب ورجاء وبغض"

كما يوضح سبينوزا ذلك بمثال عن المريض والسليم فالمريض يتناول الطعام والدواء حرصًا منه على البقاء، أما السليم فأنه يتمتع وينعم بالحياة أفضل مما لو كان يخشى الموت أو يرغب فى تجنبه. كذلك القاضي الذى يحكم على الجاني بالموت ،ليس

---

١) باروخ سبينوزا: علم الاخلاق، مصدر سابق، ص٢٩٢

٢) المصدر نفسه، نفس الصفحة

٣) باروخ سبينوزا: علم الاخلاق، مصدر سابق، ص٢٩٢-٢٩٣

حقداً عليه أو كرهاً له ،إنما بدافع الحب للصالح العام، وهنا يكون سلوكه بمقتضى العقل وحده.[١]

كما يوضح لنا سبينوزا أهمية العقل أيضاً عند تعرض الإنسان للاختيار بين خيرين أو شرَّين فقال "كلما اهتدينا بالعقل، اخترنا من بين خيرين أعظمهما، ومن بين شرين أثنين أهونهما" فالخير الذى يحول دون تمتعنا بخير أعظم إنما هو فى الحقيقة شر،كما أننا نقول عن الأشياء هذا قبيح أو حسن لأننا نقارن بينهما ،كما أن الشر الأقل هو فى الحقيقة خير، فالإنسان إذا اهتدى بالعقل ،لن يرغب إلا فى الخير الأعظم والشر الأقل. [٢]

وهنا ترى الباحثة أن الخير والشر عند سبينوزا أمران نسبيان يختلفان من شخص إلى آخر ومن موقف إلى آخر.

يري سبينوزا أن الخير والشر لا وجود لهما إلا في الطبيعة البشرية أي أن الخير والشر هي قيم مطلقة تأتي من اعتبار أن الشر يمكن التغلب عليه من خلال فهم الطبيعة الإلهية وفهم الله بشكل جيد، كما أن سبينوزا ينكر أن الخير والشر قيم موضوعية من منظور الله أو الطبيعة، حيث أنه لا يوجد شيء خيرًا أو شرًا في جوهر الأشياء كما أن الله لا يطلب الخير أو يدين بالشر حيث أن الطبيعة الإلهية لا تصدر أحكامًا أخلاقية، وعلي الرغم من أن سبينوزا يعتبر من أنصار النسبية بما يتعلق بالأخلاق والخير والشر ولكنه لا يأخذ القيم الأخلاقية علي أنها اختراعات تعسفية ذاتية من دون أساس، كما أنه أوضح أن القيم الأخلاقية عندما تستند على العادات والتقاليد فهي من المؤكد بنيات

[١] المصدر نفسه، ص٢٩٣

[٢] المصدر نفسه، ص٢٩٤

خيالية، أما عندما تكون القيم الأخلاقية شيء جوهري أو فطرية فهي بالتأكيد تكون خير.[١]

ثالثاً: السعادة* عند اسبينوزا:

يعتبر مفهوم السعادة من المفاهيم ذات الجانب المتباين أي انه اختلف من تعريف لأخر ورغم العديد من الدراسات إلا أنه لم يتم التوصل إلى تعريف شامل لمفهوم السعادة فقد يختلف العلماء والفلاسفة في بعض الجوانب التي تتعلق بالسعادة وقد يتفقوا في بعض الجوانب الأخرى فمنهم من يقيس السعادة بمنظور نفسي ووجداني أي أنها تشمل اللذة والمتعة والسرور والفرح والشعور بالطمأنينة وغيرهم يقيسها من ناحية العقل ومدي معرفته بطبيعة الانفعالات ومدي الرضا عن حياته ، وعلي الرغم من هذا الاختلاف إلا أنه لا يوجد اختلاف واضح بين تلك المنظورين وذلك لأن الإنسان عندما يكون سعيدا يعبر عن تلك السعادة عما يأتي به وجدانه ويدركها عقله لذلك لا يوجد فرق واضح في تعريف السعادة علي تلك المنظورين لذلك يمكن القول أن السعادة التي يشعر بها الإنسان تبنى علي ثلاث مكونات وهما الجانب العقلي والجانب الوجداني والجانب الثالث فيما يتعلق بلغة الجسد ويسمي الجانب النفسي الحركي، وقد عرفت السعادة في معجم علم النفس علي أنها تلك الحالة التي تنشأ من إشباع الحاجات والدوافع والتي تؤدي بالإنسان الي المرح والهناء الي أن تصل به إلى مستوى من الرضا عن النفس. (٢)

وترى الباحثة أن إحساسنا بقيمتنا فى الحياة يعتبر من أهم مقومات السعادة، فأحساسنا بأننا نحدث فارق فى الحياة وأننا مؤثرين فى المجتمع ونافعين للآخرين يجعلنا

---

[1]) Ahmet Emre Demirci, The Concept of evil in the early modern philosophy and kant ‘s doctrine of radical evil “master of art since” middle east technical university, department of philosophy, 2017, p15

٢) سعاد ياسين الرباعي: الشعور بالسعادة وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبري للشخصية لدي عينة من طلبة جامعة دمشق (رسالة ماجستير) جامعة دمشق، كلية التربية، قسم علم النفس،٢٠١٣،ص

نحظى بسعادة كبيرة. فالإنسان لا يحتاج للأكل والشرب فقط فى حياته، بل إنه يحتاج إلى ان يشعر بالاهتمام والحب والأمان من الآخرين وغيرها من الاحتياجات لذلك اختلف تعريفه عند العلماء فمنهم من عرفه بمنظور نفسي وجداني أي انه عبارة عن اللذة والمتعة والفرح وغيرهم عرفه من الناحية العقلية ومدى معرفته بطبيعة الانفعالات ومدى الرضا عن نفسه. إلا أنه لا يوجد فارق كبير بين تعريفه من الناحية العقلية والناحية الوجدانية وذلك لأن الإنسان عندما يكون سعيدًا يعبر عن تلك السعادة عما يأتي به وجدانه ويدركه عقله. لذلك يمكن القول ان السعادة التي يشعربها الإنسان تبنى على ثلاث مكونات وهم الجانب العقلي والجانب الوجداني والجانب النفسي الحركي.

كما أرى أن امتلاك كل مقومات الحياة وكل متطلبات الراحة دون وجود هدف ومعنى للحياة لا يؤدى إلى الشعور بالسعادة، ولكنه يحقق لنا متعة مؤقتة فقط. فالسعادة من وجهة نظري هي السعي الفعلي والقيام بالأعمال التي نحب القيام بها ونرغب فى تحقيقها. كما أنها عبارة عن الاستمتاع بالعلاقات الخاصة مع الأسرة والأصدقاء والعيش فى سلام وانسجام مع العقل والجسد.

يبدأ مفهوم السعادة عند سبينوزا بداية من اسمه الذي غيره مراراً فقد قام سبينوزا بتغيير اسمه من "بنتو" إلى "بندكيتوس". وهو اسماً مسيحياً مع أنه لم يتبن المسيحية لكنه كان معجب بهذا الاسم فأسماؤه الثلاثة جميعها والتي غيرها تباعا تعنى "السعيد جداً".[١]

كما تتضح السعادة في حياة سبينوزا فى حياته المتواضعة ورضائه بالقليل فقد عاش حياة قنوعة جداً فهو لم يتخل فقط عن ميراث أبيه ولكنه رفض أيضاً أي مساعدات من أصدقائه الأثرياء ورضي بمكسبه البسيط من سقل العدسات ومن المثير أن ذلك الفيلسوف الذي سيشحذ بصيرة النفس اختار مهنة تقوم على تحسين القدرات البصرية

[١]) المرجع السابق،١٩٨

وكأن أختار أن تكون رسالته في الحياة هي تصحيح وتعديل حياة الناس من الظاهر والباطن. [١]

وقد قرر ألا يقيم أسرة ويكتفي بأصدقائه المقربون وبعض اتباعه وكانت إقامته في غرفته البسيطة بجوار كتبه وطاولته وسريره الذي ورثه عن والديه وورشة صناعة العدسات تصنع له سعادته فقد أكتفى بهذه الحياة البسيطة على الرغم من أنه ذاع سيطه في اوروبا في ذلك الوقت فقد كانت تقرأ كتبه في كل أنحاء أوروبا وكان يُعرف من هو مؤلفها على الرغم من انها نشرت بدون اسمه. هذا وقد رفض عروضاً من جامعات عريقة بل وحتى دعوة من لويس الرابع عشر للقدوم والتدريس في باريس حيث كان سيستفيد من أجرٍ مجزٍ يساعده على العيش في حياة كريمة ولكنه رفض كل هذه العروض في مقابل أن يحافظ على حريته الفكرية لأن هذه الحياة كانت تمثل له معنى السعادة. [٢]

يعد سبينوزا من الفلاسفة الذين وصفوا وضعت مفهوم واضح وصريح بالنسبة للسعادة وقد كرس سبينوزا حياته في الفلسفة، وتتميز كتاباته بطابعها العقلاني وكانت أشهر مؤلفاته والتي قضي فيها معظم وقته وهو كتاب الأخلاق وقد كان المبدأ السامي لهذا الكتاب هو الوصول إلى السعادة الابدية كما ان فلسفته التي تقوم علي العقلانية تشير إلى أن كل انفعالات الإنسان هي من تؤدي به الي مبادئ القيم الأخلاقية والوصول الي الخير الأسمى والمطلق والوصول الي الكمال الإنساني والتي كان يسعي لكي يثبت ويبرهن ذلك بواسطة أسلوبه وطريقته المميزة والتي تعتبر منهجا متبعا حتي يومنا هذا وهو المنهج الهندسي الذي يسعي به الي ادراج المشكلة والقضية ووضع المعطيات لها والوصول الي البرهان وحل تلك المشكلة بواسطة هذا المنهج البديع. [٣]

---

[١] المرجع نفسه، ص١٩٩

[٢] فريدريك لونوار :فى السعادة "رحلة فلسفية "، ترجمة/خلدون النبواتى،ط١،تونس،٢٠١٦،ص٢٠٠

[٣])فريدريك لونوار: في السعادة رحلة فلسفية، مرجع سابق، ص٢٠١-٢٠٢

فالانفعالات عند سبينوزا هي تأثرات الجسم التي بها تزداد قوة فعله أو تنقص وتعاون أو تعوق وكذلك أفكار هذه التأثرات. فعندما نكون علة تامة لبعض هذه الانفعالات فأن ما يعنيه آنذاك بالانفعال هو الفعل كما يقصد به في الحالات الاخرى الهوى. [١]

كما أن النفس عند سبينوزا تعي، من حيث إن لديها أفكاراً واضحة متميزة، وأيضاً من حيث إن لديها أفكاراً مختلطة، إلى الاستمرار في وجودها لمدة غير محدودة، وهي تعي سعيها ذاك. "أي أن النفس ليس لها مدة محددة لكي تحافظ على وجودها وتواجه المصاعب التي تتعرض لها فلو كانت لها مدة محددة فعند انتهاء هذه المدة حتماً ستنتهي مدة وجود هذه النفس ولكن المدة غير محددة". [٢]

وترى الباحثة أن ذلك يتضح كثيراً في أمور حياتنا فكثيراً ما نسعى إلى الشيء ونتمسك به بشدة ليس لأنه خيراً بل لأننا نرغبه ونريده فمثلاً يريد الإنسان أن يعمل في مجال ما ولكن لا يوفق لذلك فيعتقد أن ما حدث له شراً وأن حياته وسعادته ستتوقف عند هذا الموقف وذلك لأنه كان يريد هذا العمل وليس لان هذا العمل فيه الخير له وهذا ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون "[٣]

ولهذا فإن مفهوم السعادة من وجه نظر سبينوزا انها تلك الشعور الذي ينتج من فعل الانسان وهذا الفعل يعتبر محبب للإنسان او انه ذلك الشعور الذي قام به الانسان ونتج عن هذا الفعل نتائج ايجابية ادت به الي ايجابية في العديد من الامور وعلية فقد اشار سبينوزا الي ان السعادة هي تلك الطاقة التي تنتج من الافعال التي يقوم بها الانسان بحيث تكون تلك الافعال ذات طابع ايجابي وتؤدي به الي العديد من الامور المثمرة،

---

(١)باروخ سبينوزا: علم الاخلاق، مصدر سابق، ص١٤٧

(٢)المصدر نفسه، ص١٥٧-١٥٨

(٣)سورة البقرة، آية٢١٦

كما اشار ان الانسان اما ان يكون خاضعا لشهواته وملذاته ومن ثم تؤدي به تلك الشهوات الي الخضوع لها وتأثيرها السلبي علي حياته او ان يكون عقلانيا في تفكيراته وقراراته واستطاعته علي السيطرة علي العواطف السلبية فعلى سبيل المثال من يسعى بدافع الانفعال وحب النفس إلى جعل الاخرين يحبون ما يحب ويعيشون وفق طبعه الخاص، فهذا التصرف لا يكون إلا بدافع النزوة، ولذلك سيكرهه الآخرون الذين لهم ميول أخرى، كما أن الانسان الذى يتصرف بدافع النزوة قد لا يكون مقتنعاً بما يريد ويعرف أنه يتصرف بناءًا على انفعال يشعر به على عكس من يتصرف بالعقل يكون مقتنعاً بما يؤديه ويكون منسجماً مع نفسه.(١)

ويوضح سبينوزا الطريقة الصحيحة لمحاربة رغبة سيئة وهي ان توضع فى منافسة مع رغبة اقوى منها حيث لا يكون دور العقل هنا قمع الرغبة السيئة فقط وإنما يكون دوره توليد رغبات جديدة تحمل لنا فرحاً كبيراً. (٢)

يسمى الناس الذين تكون أفكارهم غامضة وقاصرة فى الاصطلاح الاسبينوزى "انفعالات" كما أن التفسيرات الخاصة بأفعال امثال أولئك الناس تكون فى الظروف المحيطة بتلك الافعال لا فى طبيعتها الخاصة، كما انه هناك ثلاث انفعالات أولية هي: الرغبة التي هي النزوع، والفرح الذي هو انتقال الكائن الى حالات كمال اعلى، والحزن وهو انتقال الى حالة أدني؛ وتتركب من هذه الانفعالات الثلاثة جميع الانفعالات الاخرى.(٣)

(١)المصدر نفسه، ص٢٦٥

(٢)زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية (مشكلة فلسفية) مكتبة مصر، ط١، القاهرة،١٩٦٩ ص ٢١١

(٣) جونسان ري، وج.أو. أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة/ فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الادق محمودي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة،٢٠١٣، ص١٨٣

كما يوجد فرق بين الانسان السلبي والانسان الايجابي ويتمثل هذا الفرق في ان الانسان السلبي تكون افكاره ذات طبيعة قاصرة حيث انه يعتمد على الامور الحادثة له وعلى تأثيرها عليه ولا يعتمد على طبيعة تلك الامور وهذا ما يميز الانسان الايجابي والذي يكون ذات مراتب فعالة اعلي من الانسان السلبي والايجابية هنا هو مدي حب الانسان للغير ومدي اهتمامه لفعل الخير والتمييز بين الافعال التي تؤدي به الي الخير والافعال التي ينتج عنها الرذائل والاشياء التي تسبب تعاسه للإنسان. [١]

وعلية فلابد أن يكون الإنسان جاهزا لمدي تأثير تلك الانفعالات وتحقيقها لسعادة ما أو أن تكون تلك الانفعالات والعواطف هي من تؤدي بالإنسان إلى أن تكون حاجزا بينه وبين السعادة، كما أن تلك الأمور لا وجود لها في الواقع إنما هي موجودة فقط في ذهن الإنسان وترتبط بتفكيره ومدي قدرته على السيطرة علي الانفعالات والعواطف الناتجة منه. [٢]

وقد حاول سبينوزا تعريف اللذة والألم ومحاولة التفرقة بينهم وكذلك الربط بينهم حيث أشار إلى أن هناك بعض الأشياء التي تزيد من قدرة الجسم علي فعل شيء من الأشياء تساعده وعليه فإن هناك بعض الاشياء التي تنقص من قدرة الجسم علي فعل شيء من الاشياء تعيفه وتلك القدرة علي فعل الاشياء هي من تزيد او تعيق التفكير في هذه الامور، ولذلك فقد اشار سبينوزا ان الفرح هو تلك الانفعالات التي تؤدي بالنفس البشرية الي الوصول الي الكمال الاسمي والاعظم وعلي النقيض الاخر فإن الحزن هو تلك الانفعالات التي تؤدي بالإنسان الي الوصول الي الكمال الاقل.[٣]

([١])المرجع نفسه، ص١٨٣

([٢])باروخ سبينوزا: علم الاخلاق، مصدر سابق، ص٢٠٣

([٣])المصدر نفسه، ص١٥٩

كذلك يوضح لنا سبينوزا مدى قدرة التخيل فى جعل الانسان حزيناً أو سعيداً فيقول "من تخيل هلاك ما يحب، كان حزينا ومن تخيله محفوظاً، كان مسروراً". [١]

أي ان مجرد تخيل الانسان ان ما يحب قد يتعرض للهلاك فأن ذلك يولد عنده الاحساس بالحزن أما عند تخييله أنه محفوظ يتولد عنده احساس بالسرور وذلك يتمثل فى خوف الام على ابنها او خوف كل من يحب على حبيبه.

إن حب الإنسان لشخص آخر قد يجعله يقبل الألم لنفسه فى سبيل الشخص الذى يحبه، وذلك لأنه يهدف من وراء هذا الالم تحقيق ضرب أعمق من المشاركة، كمثل حب الام لابنها على الرغم من كل الآلام والمتاعب التي قد يسببها لها، بل إن هذا الحب يتزايد عمقاً وشدة، بقدر ما يسبب لها من الم وعذاب! فحب الأم لأبنائها لا يتوقف على مدى حبهم واخلاصهم لها، بل هو هو حب خالص يقوم على التضحية ويقترن بالألم والعذاب. وقد كان المسيحيون الأوائل يتحدثون عن التألم فى سبيل المسيح أو احتمال العذاب من أجل اسم المسيح، فكانوا يرون فى الألم أكبر مشاركة من جانبهم فى شخص "يسوع المسيح"[٢]

وليس من شأن السعادة كما يقول هارتمان* أن يسمو بالشخصية وان يزيد من عمق احساسها الخلقي فحسب وانما انه يضيف لها ضرباً من النبل الأخلاقي ويعطيها القدرة على الإحساس بالسعادة فخبرة الألم تكسب المرء إرهافًا وعمقاً يجعلان منه مخلوقاً

---

(١)المصدر نفسه، ص١٦٧

(٢)زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية "مشكلة فلسفية "، مرجع سابق، ص ٢١٧

***هارتمان نيقولاي هو فيلسوف الماني، ولد في ٢٠تموز ١٨٨٢ في ريفا وتوفي في ٩ تشرين الأول ١٩٥٠ في غوتنغن. قدم اطروحة في عام ١٩٠٩.وفي عام ١٩٢٠ حصل على كرسي في جامعة ماربورغ. وعلم بعد ذلك في كولونيا (١٩٢٥) وبرلين (١٩٣١) (١٩٥٤). وفى مبادئ الفلسفة وهو أول عمل مهم له، خرج هارتمان عن كانطيته الأولية ليعرف ماهية المعرفة لا على أنها من إنتاج الموضوع وإنما على أنها إدراك له ((جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة دار الطليعة، ط٣، بيروت،٢٠٠٦، ص٦٨٩)**

رقيقاً يتمتع بقدرة كبيرة على تذوق السعادة كما أن الشخصية التي تذوقت طعم الآلام لا تعود تجزع لأتفه المخاوف وتقلق لأصغر الأحداث بل تقف فى وجه مصيرها بقلب يملؤه الشجاعة. وقد عودتنا الحياة أن يكون جزاء من لا يجرى وراء السعادة أن يراها يوماً جالسة الى مائدته على غير معاد! فليس بدعًا ان تقدم السعادة لهذا الرجل "المجرَّب" الذي اكتوت نفسه بنيران الآلام [١]

كما تعتبر السعادة في أغلب النظم الأخلاقية هي المفهوم الأكثر أهمية وقد وضعت الطبيعة الإنسان تحت حكم نوعين من الأسياد المسيطرة وهما السعادة والألم، وهذا يوضح ما الواجب علينا فعله. [٢] أي ما يجب على الانسان أن يفعله لينال السعادة ويبتعد عن كل ما يسبب له الألم.

وترى الباحثة أن حديث سبينوزا عن السعادة من الأمور التي تفوق بها عن باقي الفلاسفة الذين تناولوا هذا الجانب في حياتهم وذلك بفضل الطريقة التي استخدمها في كتابة الاخلاق ليبرهن ويثبت ويحلل المشكلات والقضايا التي تهتم بالقيم الأخلاقية وهي الطريقة التي استخدمها العديد من العلماء وخصوصا في علم الرياضيات وهي الطريقة الهندسية.

كما أرى أن سبينوزا في محاولة حل المشكلات التي تتعلق بالقيم الأخلاقية قد ربط بين السعادة وغيرها من الفضائل حيث ربط بين السعادة والخير وذلك من خلال أن الإنسان يهدف إلى الخير وذلك لتحقيق الوصول إلى السعادة الأبدية له ولغيره من الناس وبذلك يصبح الإنسان إنسان صالح وينال حب الآخرين كما أن الله يعتبر هو الخير الأسمى عند سبينوزا ومعرفته وحبه هو ما يوصل الإنسان إلى السعادة والوصول إلى الكمال فكل العواطف من حزن وألم وسعادة مصدرها الله كما يري سبينوزا أن الوصول

2) Nicolai Hartman: "Ethics", vol.2., Moral values,1963, p141

(1) Anthony Kenny: philosophy in the Modern World , Oxford university , press First Published , 2007 , p.220.

إلى السعادة والكمال الإنساني يمكن من معرفة ودراسة لذاتنا وكيفية السيطرة علي الأفعال والعواطف والتحكم بانفعالاتنا كما أن الإنسان لا يستطيع التحكم بانفعالاته وأفعاله إلا عن طريق العقل فالعقل بالنسبة له يعتبر هو المنقذ الحيد من كل انفعال سلبي الحزن والفرح من الامور التي لا يمكن ان تكون ثابتة من انسان لآخر فهي مسألة نسبية فما يكون خيراً لي قد يكون شراً لغيري وقد لا يعني شيئاً لشخص ثالث. وهنا يتضح لنا تأثر سبينوزا بالفلسفة الإسلامية واليونانية.

تعقيب

لقد رأى سبينوزا أن العقل والتفكير الجيد هو من يحقق الخير الاسمي وبالتالي الأخلاق، ولكنه ربط العقل بالتفكير السليم في الله والطبيعة الإلهية وأن الله هو جوهر الأشياء وطبيعتها ورأى من خلال تجاربه وحياته أن كل ما نعتقد فيه بأنه خيرًا او شرًا هو من طبيعتنا نحن وليس من طبيعة الأشياء، وانه لكي يصل الإنسان الى السعادة لابد أن يربط الأشياء بالطبيعة فكان يقصد بتلك الطبيعة الله.

كما إن الإنسان الذى يريد تحقيق السعادة لابد من التحكم في انفعالاته وشهواته هذا ما أوصى به سبينوزا في فلسفته، كما اشار الي اهمية التفكير العقلاني لتحقيق السعادة حيث ان الشعور بالسعادة اللحظية والتي تحققها لنا الخضوع للشهوات والرغبات السلبية لا يمكن ان تسمي سعادة مطلقة او سعادة نهائية لان السعادة النهائية تتحقق عند التحكم في تلك الرغبات والشهوات والتفكير السليم في الطبيعية الالهية، كما ان لتحقيق السعادة يجب اتباع الواجب العقلي الذي يحقق للإنسان السعادة في حالة غياب الفرح لذا فإن العقل هو من يحقق للإنسان السعادة.

المراجع والمصادر

أولًا: المصادر

١. اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة/ حسن حنفي، دار التنوير، ط١، بيروت،٢٠٠٥

٢. ١٩٤ سبينوزا: رسالة فى اصلاح العقل، ترجمة/جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس،١٩٩٠

٣. باروخ سبينوزا: علم الأخلاق، ترجمة/ جلال الدين سعيد، المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، ٢٠٠٩

٤. سورة البقرة، آية٢١٦

ثانيًا: المراجع العربية

٥. زكريا ابراهيم: المشكلة الخلقية (مشكلة فلسفية) مكتبة مصر، ط١، القاهرة،١٩٦٩

٦. جونسان ري، وج.أو. أرمسون: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة/ فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الادق محمودي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة،٢٠١٣

٧. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩

٨. فريدريك لونوار: فى السعادة "رحلة فلسفية "، ترجمة/خلدون النبواتى، ط١، تونس،٢٠١٦

٩. فؤاد زكريا: اسبينوزا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧

ثالثًا: المعاجم والموسوعات

-ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت

١٠-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٩٨٢

١١-جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة دار الطليعة، ط٣، بيروت،٢٠٠٦

١٢-معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الاول، معهد الأنماء العربي، ط١، ١٩٨٦

رابعًا: الرسائل العلمية

١٣-أمينة رغيس- فتيحة، بن كران: مكانة الاخلاق في فلسفة اسبينوزا (رسالة ماجيستير)، اشراف، طاهر رياض، جامعة قاصدي مورباح بورقلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، الجزائر،١٦/٥/٢٠١٧، ص٣٠،٣١

١٤- سعاد ياسين الرباعي: الشعور بالسعادة وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبري للشخصية لدي عينة من طلبة جامعة دمشق (رسالة ماجستير) جامعة دمشق، كلية التربية، قسم علم النفس،٢٠١٣

خامسًا: المراجع الأجنبية

[1]) Ahmet Emre Demirci, The Concept of evil in the early modern philosophy and kant‘ s doctrine of radical evil “master of art since” middle east technical university, department of philosophy, 2017

2)Anthony Kenny: philosophy in the Modern World , Oxford university , press First Published , 2007 , p.220.

3) Nicolai Hartman: "Ethics", vol.2., Moral values,1963

Ethics according to Spinoza

Abstract

This research tackles the topic of ethics according to Spinoza and its importance in achieving peace and harmony among people. The researcher will address Spinoza's opinion about good, evil, and happiness. He believed that good and evil should be viewed from a moral perspective, not in terms of the distorted provisions of religion, which conflict with what is moral in order to achieve political goals and personal interests. According to Spinoza, Evil is every action that causes harm to others, and its opposite is good, which is every action that brings joy and happiness to others, and this is what Spinoza urged. A person must strive for everything that is good and achieves happiness for himself and for others, and must stay away from every evil action. Furthermore, Spinoza also thought that the emotions of sadness and joy that a person is affected by are closely linked to the external world in which one lives. The more the world in which a person lives is a world in which the necessities of life are available to a person, the easier life will be for a person. Accordingly, his satisfaction with the world and others surrounding him will increase.. According to Spinoza, joy occurs when the soul moves to a higher perfection, and sadness occurs when the soul moves to a lower perfection.

Keywords :ethics, good, evil.